

المسامحة هي أسمى شكلٍ من أشكال المحبة¹

الأم سلوانا (فلاد)

المسامحة هي أسمى شكلٍ من أشكال المحبة؛ إنها محبة الله المتاحة لنا. بمحبته لنا، هو يُسامحنا ويشفيها. وعندما يوصينا بأن نحب بعضنا بعضًا، فإنه بذلك يوصينا بأن نغفر بعضنا لبعض. إذا بذلنا جهدًا من الصباح إلى المساء لكي نسامح قريينا، فسنعفو بفرح بين ذراعي الله – لأن سريرنا هو حضنه وذراعه الأبويتان اللتان تهدهدانا لننام، وتريحانا من إنهاكنا وتعبنا، وتعينانا على حمل صليبنا في اليوم التالي لتوجهه إلى الله مجددًا. ولكن فقط إذا غفرنا. أمّا بخلاف ذلك، إذا قلنا: "لن أنسى أبدًا ما قاله لي! لن أنسى البتة ما فعله بي!"، فإن حملنا سيصبح أثقل وأثقل. ولن نستطيع أن نحب الله أو قريينا أو أنفسنا.

أعلم أن الله يحبنا كما نحن؛ وأنتم أيضًا تعلمون ذلك. كما نحن – أي ليس علينا أن نتغير لكي يحبنا الله. سألني أحد الطلاب: "إذا لم علينا أن نجاهد لنصبح صالحين؟". علينا ذلك لكي نحب أنفسنا. لا يمكننا أن نحب أنفسنا ونحن على ما نحن عليه.

والدليل على ذلك هو مدى محبة الآباء لأبنائهم، وهم يُظهرون محبتهم بقوة عندما يُسجن هؤلاء الأبناء. ثمّة أولاد صالحون في سجوننا؛ ثمّة أولاد لآباء صالحين، وينتهي بهم الأمر بأن يرتكبوا جرائم خطيرة بسبب الغباء أو في لحظة إغفال، فيُسجنون. حينئذٍ، يبقى الآباء عند بوابات السجن، ويحضرون الحاجيات لأبنائهم على قدر ما هو مسموح؛ يحضرون لأبنائهم محبتهم. أمّا الأبناء، فهم الذين لا يعودون قادرين على أن يحبوا أنفسهم، ولا يستطيعون أن يفرحوا بمحبة آبائهم من وراء القضبان.

هكذا نحن أيضًا. فالله يحبنا، ونحن الذين لا نستطيع أن نحب أنفسنا. ولهذا علينا أن نطلب إليه قائلين: "يا رب ساعدني على أن أتغير، لكي أحب نفسي أنا أيضًا! لكي أستطيع أن أتصالح مع نفسي! لكي أتمكن من مسامحة نفسي!". أحيانًا، يصعب على المرء أن يغفر، وذلك لسببين:

¹ من مؤتمر بعنوان: الفرح والمغفرة والمحبة. آلبا يوليا، رومانيا، نيسان 2005

إنَّه صعبٌ لأنَّ العدوَّ [الشيطان] يعارضنا. فلا يروق له أن يغفرَ لأحدٍ ما، ولذلك يحتجُّ بأنَّ الناس لا يستحقُّون أن نسامحهم. ولكنَّ الغفران لا يتوقَّف على كون الشخص الذي نسامحه يستحقُّ مسامحتنا. إنَّ المسامحة هي عملي أنا، إنها عملٌ نفسي؛ أمَّا القوَّة، فيمنحني إيَّها الله.

السبب الثاني لكون المسامحة صعبةً هو أننا لا نعرف ما هي. في بعض الأحيان، نخلط بين المسامحة وتبرير الشخص الآخر، كأن نقول: "كان ثملاً...". هذه ليست مسامحة. هذا تفسيرٌ وعذرٌ نختلقه لتبرير التصرف الذي آذانا بدلاً من أن نجرؤ على القول: "لقد آذيتني، وأنا أسامحك!". دعونا لا نبدأ بالتكلُّم مع ذلك الشخص أو التصالح معه قبل مسامحته.

إنَّنا نخلط بين المسامحة والمصالحة، فتتصالح مع بعضنا دون أن نغفر بعضنا لبعض. وتتراكم الأشياء ولا نعود قادرين على النظر في أعين بعضنا بصدقٍ. ونخلط أيضاً بين المسامحة والنسيان، فنقول: "نسيْتُ كلَّ شيء!". لا، المغفرة لا تعني النسيان.

إذاً ما هي المسامحة؟ إنَّها رحمة الله التي تتدفَّق إلى داخلي، والتي أُعطيها بدوري لقريبي، أو لمن آذاني، أو لنفسي. وأقول: "يا ربُّ، تعال أنت واغفر!".

نقلتها إلى العربيَّة أسرة التراث الأرثوذكسي

Source: Mother Siluana Vlad (2005). "Forgiveness is the Highest form of Love", Talk at the "Joy, Forgiveness, and Love" conference held in Alba Iulia, Romania, in April 2005. In *Sayings of the Romanian Elders*. [Substack](#).